« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يبعث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتمسون لها الدلائل من الدين فيمحي التوحيد بالمرة . ولكنه لما بعث بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصبغت عندهم بصبغة الدين بضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسئلة الاستمداد بما قاله الاستاذ الامام فى ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام فى العرب الأميين فانظر ذلك فى الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشوابها)

أكثرت الجرائد اليومية الخوض فى هذه الايام في مسئلة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرة وزعم بعض الباحثين ان السبب فى الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متربيات » يصلحن لشبان مصر « المتربين » . . . . وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلهن وأطنب فى التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكثر الكتاب البحث فى تربية البنات فى معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي ناشط اختار في ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون التزوج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وان أكثر الذين يتزوّجون بالزواج يتربصون الظفر بزوج غنية لا بزوج مهذبة متربية .

ثم أقول انه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وان الاناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتعلمات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لانه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة الملية . ولو ارتقى المتعلمون في شؤون الحياة لاصلحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عليهن والقوة بايديهم فهم يسيّرون العمران كيف شاؤا .

ورب متفرنج غبي ينغض رأسه اذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فان الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . ويدلك أيها الغر المتفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وان كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية يسعى الرجال صاروا لهن بها شأن في تربية الاطفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مباين لشؤونهن

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المربّى إنساناً كاملا سوياً في خلقه . مهذباً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إيداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من مؤثرات تركه السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون الذين انتفعوا بالتعلم الجديد فصاروا ينفعون أنفسهم وأمتهم قليلون جداً وإنما ساعدهم على الانتفاع استعداد قوي فى الفطرة وبعض الاخلاق والآداب الموروثة ولذلك يعد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون لشبان أمتهم ان يتزوجوا بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، واذا اشتكوا فانما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل مالهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

اما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في مجموع الامة — فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لغة اوربية بها يتمكنون من معاشرة بغايا الافرنج مسافحات أو متخذات أخدان . وان عقائل نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الاحلام بلة الاقتران بهم وقبولهم بعولة لهن فهذا التبجح الذي يتبجحه شبابنا في الجرائد يعلمهم أنما هو التبجح بتفضيل البغايا الاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا السكر فى القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار فى وادي النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما فتن الناس بزخرف الاثاث والرياش والماعون التي تجلب من أوربا فتذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما خربت تلك البيوت العامرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمات الدين وتركت فضائله وسننه . فبماذا يفتخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الأغرار الجاهلات ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلهن لم يجن على الامة والبلاد بعض ماجناه علم اولئك المتبجحين المترفعين

البنت الجاهلة تتربى فى بيت زوجها تربية جديدة لأن العذراء لاتستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء موقتاً غير ثابت لانها فى طور غير ثابت تنتظر فى كل يوم الانتقال الى الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها زوجاً لرجل ثم أما لولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا من هؤليا العذارى واشتغلوا بتربيتهن ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا ينشزن الواخير ولا بيوت السر ؟ ويالايت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون صالحين مصلحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ماجاء على سبيل الشذوذ . فما بال تلك « الفتاة النجيبة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها النجيبات طفقت تذمهن وتهجوهن فى مقالتها التى نشرتها فى المؤيد توسلا الى كلمة تسترضي بها الشبان فى آخرها بانهم مقصرون وبان فى البنات الآن من المتعلمات من يليق بهم

الغيرة الكبرى فى تربية بنات مصر هي أن يكلمن هؤلاء الشبان المغرورين ويعاشرنهم وهذه الفتنة فاشية فى المتعلمين والمتعلمات أكثر من فشوها فى الجاهلين والجاهلات والذنب فى هذه الغيرة على الشبان فيهم

بدت الفتنة واليهم تعود لانهم هم الذين يتعرضون لإغواء البنات . وقد حدثني غير واحد منهم بأنه لايكاد يوجد تلميذ الا وله خليلة من البنات . ولكن لاتكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمغازلة والمناغاة . فاذا كان هذا حظ شبابنا المتعلمين من البنات فماذا ينقمون عليهن من فساد التربية : أينقم بعضهم على من يحبها انها لاتحسن الرطانة بلغة أوربية ! كيف وهو أوسع مادة فى المسائل التى يكلمها بها بلغته العرفية منه باللغة الاجنبية لانهما لايتكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب العشاق الذين لاتربية لهم ولا تهذيب . يوهمنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يودّ أحدهم أن تكون له زوجة تعلمت مثلما تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات العلمية والادبية لاحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . ويا ليت هذا كان صحيحاً ولكن يحزننا ويمضّنا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم في أنديتهم وسمارهم . دون مايقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذا الذى يطلب العلم ليعمل به أوليكمل ؟ ؟ كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التى تؤهلهم لوظائف الحكومة والتعرض من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جبلوا عليه من الكسل . نرى أحدهم يجد ويكد قريحته بأحفظ مدة الدراسة حتى اذا مانال ورقة الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب والعناء وجاء دور التمتع — على انه لم يكن فى طور الدراسة مصروفا عن التمتع فيترك البحث والمذاكرة فى كل مانعلمه الا اذا كان رزقه منه كالمهندسين والاطباء وقليل ماهم

ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذى يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس المنطقة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد من ثمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

ودرس ثورين قد شدتا الى قرن أقفى وأنفع من تدريس حبرين

أين أثر علم هؤلاء المتفجين في التأليف أو العمل ؟ أين الأندية والسمار الأدبية ؟ أين الجمعيات العلمية ؟ أين الشركات الصناعية ؟ أين الاعمال التجارية ؟ أين التآليف النافعة في العلوم اللغوية أو العلمية أو الادبية أو الدينية ؟ أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجهل به من العامة الأميين ، ولا يخفى ان الكلام كله في المجموع لا في عموم الافراد فان من التلامذة من يرغب في العلم لفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفجين بالعلم — وان كان الجهل خيراً منه — اذا فُتنتم بالاوربيات أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجون الاقتران لتظفر أحدكم بامرأة غنية يتنعم بمالها لان المدرسة ربته على الترف والكسل ، مما فأقسم عليكم بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله الذي تعبدونه ، أن لا تعتذروا عن ذلك بغيرة اخواتكم ؛ والاعتزاء بامهاتكم ؛ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شيء في الماضي وهم الذين يعملون كل شيء في المستقبل وخير لهم ان يكون نساؤهم عوناً لهم من أن يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل